نافذة

المزاج الحضاري

للمفكر والفيلسوف الراحل عادل العوا (١٩٢١-٢٠٠٢م) مؤلفات ودراسات وأبحاث عدة تتناول شخصية الأمة العربية وأصالتها وحقيقة تواصلها مع ذاتها ومع الأمم الأخرى والشعوب المتباينة، وهو بذلك يحاول إماطة اللثام عن المزاج القومي العربي المميز بين قطبي العسر واليسر، والإجابة عن مجموعة من التساؤلات، التي تبدأ بالتنقيب عن مزاجنا القومي من منظور حضاري لعلنا نغير ما بأنفسنا نحو الأفضل، ونغير بذلك ما في وجود الناس مؤثرين ومتأثرين.

يرى الدكتور العوا أن حياة الأمزجة في الواقع العربي- التاريخي هي ذاتها جدل الأمزجة وتفاعلها في حياة الإنسان عامة، وفي أصدائها السلوكية، أي حضارتها ولا سيما أن الحضارة هي الجانب المتحقق من المطلب الإنساني في تجربة حياة البشر الاجتماعية التاريخية، وهذا هو مطلب إبداع الإنسان بما تهدف إليه الأخلاق، ولعل المزاج الحضاري القومي للأمة العربية يتجلى في آخر المطاف عبر استقطاب إمكاناتها في مضمار ثقافتها العريقة وأصالتها التليدة.

في بحثه عن سلوك الأفراد والجماعات في كثير من الوقائع التاريخية العربية، وفق الظروف والمعطيات، التي تؤكد على التسامح الديني، والانفتاح العقلي بقبول الرأي الآخر في مجالات السياسية والحرب والفكر، من منطلق «لا إكراه في الدين» الذي نادى به القرآن الكريم، وعلى هذا المبدأ سار العرب والمسلمون في حروبهم وعلاقاتهم السلمية مع أهل الأديان الأخرى، فقد كانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم.

من مظاهر التسامح في السلوك الديني أن كثيراً من الكنائس كان يصلي فيها المسلمون والمسيحيون في وقت واحد، إبان الفتح الإسلامي، وقد رضي المسيحيون عند فتح دمشق أن يأخذ المسلمون نصف كنيسة (يوحنا) التي أصبحت الجامع الأموي الكبير، فيما بعد، ورضي المسلمون أن يصلوا فيها صلاتهم، فكان أبناء الديانتين يصلون متجاورين... هؤلاء يتجهون إلى القبلة، وأولئك يتجهون إلى الشرق.. ومما يذكر في هذا المجال، الوظائف التي كانت تعطى للمستحق الكفء بغض النظر عن عقيدته ومذهبه، وكان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي، موضع الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في دمشق وحلب وغيرهما زمناً طويلاً.

في دراساته يكشف لنا الدكتور العوا عن معلومات وأخبار كثيرة مستمدة من التراث العربي عن المزاج الحضاري العربي الجمالي في أدب الدنيا والدين، وهذا ما أكده الرأي العربي منذ البدء، حيث أكد هدفين هما:

الاستقامة في الدين وبها تصح العبادة، والآخر صلاح الدنيا وبه تتم السعادة، والفكر الكلامي العربي، كان وثيق الاتصال بوقائع التاريخ العربي، ويعكس مشاغل الحياة الفكرية اليومية بل التصورية، والغيبية في مشكلات الدنيا والدين.. لقد مرت الحقب والقرون وحدثت تطورات عميقة بل طفرات، وأصبح الحاضر العربي يعكس أصداء ثقافة موروثة، وأمزجة فردية وقومية منفتحة على الثقافة العالمية وعلى القديم والجديد، والأصالة والمعاصرة، والتراث والتطور أو المحافظة والثورة.. وفي جدل تحليل هذه الثقافة، وهذا المزاج في جوانبه المعرفية والسلوكية، نرى أنه لم يخل في الماضي، من نزوع كبير إلى اليسر والمحبة والعدل والتسامح والانفتاح على الآخر.

أما الآن بفضل ساسة «القوة الناعمة» و«الفوضى الخلاقة» والاستلاب الحضاري وسياسة الترهيب والترغيب، فإلام نراه آل وسيؤول.. وبكل أسف لقد أفسدت الولايات المتحدة الأميركية والصهيونية العالمية كل شيء، وأصبح المزاج الحضاري العربي والعالمي في حالة لا يحسد عليها.

د. علي القيّم

جيل الأزمة.. الانتماء واللامبالاة

بعضهم لا يشعر بالمسؤولية والآخر يتحملها كاملة

لا رغبة بأحاديث عن الحرب والأزمة ولا سماع الأخبار

إيمان أبو زينة

قبل أيام انتهيت من قراءة كتاب ممتع عن الشاعر الصوفي «جلال الدين الرومي»، ووجدت أن دوري «كقارئة ممتازة» أن أتحدث عن الكتاب أمام أكبر عدد من الأشخاص الذين ألتقيهم كي يتمتعوا بقراءته ويستفيدوا من معلوماته، فحاولت تشجيع صديقة لي على قراءته من خلال إيجاز ما استطعت إيجازه من معلومات مشوقة وهامة، في اللحظة التي قاطعت حديثي صبية | ٢٠ | عاماً مرت في الغرفة أثناء حديثنا وقالت بجدية العارف: «جلال الدين الرومي»..؟ آه... أليس هو والد المطربة «ماجدة الرومي»؟ تساءلت بتعجب واستنكار: إذا كانت هذه الصبية لا تعرف من هو «جلال الدين الرومي» فهل ستفهم ماذا يحدث في سورية وما الأزمة التي نعيش بها؟

ومثلي أيضاً يتساءل الكثيرون: ماذا يحدث مع أبناء هذا الجيل، ولماذا؟

بالمقابل «نوار» شاب ٢٢ عاماً يدرس القانون الدولي في إحدى الجامعات العالمية، يشعر أن مهمته ومسؤوليته في عمره الصغير هذا أن يدرس، ويجتهد، و«مازال يصعد دون تهاون حاملا كل الإرث وكل الأمل» كما تقول والدته ليعود ويقدم علمه وعمله لهذا الوطن.

تقول الأخصائية الاجتماعية «إيمان زهراء» المهتمة بالشأن الاجتماعي السوري: في الحقيقة نحن ننتمي إلى جيل يعيش أزمة قد يكون قوامها التربية والتنشئة من جهة، والصراع ما بين تحقيق الذات والحصول على الممتلكات المادية من جهة أخرى، وهذه الصراعات من الممكن أن تؤدي إلى الغضب والإحباط بسبب الاصطدام بالوضع الراهن، إضافة إلى قلة الإمكانات والفرص المتاحة، ما قد ينعكس بسلوك تبدو فيه اللامبالاة هي الأكثر وضوحا عند الأغلبية رغم وجود الكثير من الاستثناءات الإيجابية التي تشبه حالة الشاب «نوار» الذي يدرس القانون، فالذي عايشه الشباب منذ أربع سنوات حتى الآن في ظل الأزمة يمكن أن يتراءى للعيان بصورة ضعف، فلا عجب أن نرى البعض يلجأ إلى الهروب، وكيف لا وهو يعاصر الخلافات اليومية التي يراها بين أمه وأبيه وأصدقائه، أو بين جيرانه، أو أقربائه، أو حتى أساتذته في جوٍ مشحونٍ جراء الحرب!!

إن اختلاط المفاهيم والمُثل لدى شباب اليوم بدءا من التربية اليومية إلى التعليم المدرسي وصولا إلى القواعد والمحاظير الاجتماعية التي قد لاتتناسب مع أهوائهم ورغباتهم الشخصية قد تسفر عن اللامبالاة، فنراهم منشغلون عن أهلهم في عالمهم الشخصي تارة، أو في عالم الكومبيوتر والانترنت تارة أخرى ما أدى إلى استياء الأهل لابتعاد الأولاد عنهم، لكن لا يمكن أن نتناسى ابتعاد الأهل بنفس الوقت عن الأولاد بسبب البحث عن لقمة العيش لتأمين مستلزمات واحتياجات الحياة.

السيدة «هدى» أرملة لديها ثلاثة أبناء، أكبرهم يذهب مع أصدقائه بعد عودته من الجامعة ولا تراه في أغلب أوقات اليوم، حيث يقضي وقته مع أصدقائه في المقاهي أو التسكع أمام المحلات، ولا يعود إلا بعد منتصف الليل في وقت يعلم الجميع أنه لم يعد آمناً كما في السابق، والولدُ الأوسط لا تستطيع فهمه فهو يقضي جلّ وقته على الانترنيت ولا يعرف ماذا يريد أن يأكل، ولا ماذا يرتدي، ولا أين يذهب، وأما الابنة الثالثة فقد باتت تخاف الخروج من البيت، وتعاني من الكوابيس الليلية وخاصة عند سماعها لأصوات القذائف.

تعلق السيدة «زهـراء» وتضيف: إن مثل هذه الحـالات لابد أن تحفزنا بشكل جدي كمسؤولين وأهالٍ تجاه شبابنا من خلال تهيئة الظروف المناسبة لهم لتحقيق ذاتهم وتفريغ طاقاتهم بما يمكن أن يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع، لأن ذلك سيكون سدا منيعا لمواجهة أخطار قد تواجهنا جميعا، لذلك لابد أن نكون صبورين ومتفهمين لهم، وأن نستوعب ونحتوي مشاكلهم وأخطاءهم مهما كبرت أو صغرت.

«رامـي» يجتمع مع أصدقائه في حـارات دمشق القديمة حيث يسكن، ويـقـول إنـه لم يعد يرغب بأحاديث جديدة عن الحرب، والأزمة، ولم يعد قادرا على سماع الأخبـار، حتى إنـه بـات يتقصد إظهار نفسه كشاب سطحي رغم أنه من المتفوقين في سنته الجامعية الثانية في كلية الهندسة الميكانيكية، لكن ذاكرته لم تعد قادرة على استيعاب ما يحدث وخاصة في المناطق المحيطة ببيته، وأصبح يهرب إلى أي مكان لا يضطر فيه للعيش مع القهر والخوف والتمني.

والدة «رامي» تعمل في سلك التعليم وأحبت أن تعطي رأيها فقالت: من الظواهر السلوكية التي نراها في الوقت الراهن الهروب، بمعنى الهروب من تحمل المسؤولية، فبدت وكأنها ظاهرة جديدة، لكني أرى أنها نوع من أنواع التكيف مع الواقع، لذلك يمكن أن نرى أو نسمع عن حـالات كثيرة من العصبية، أو العدوانية، أو الاعتكاف الذاتي من خلال عدم الخروج من البيت.

«شادية»، و«منى»، و«سعد»، و«محسن»، مجموعة من المتطوعين الذين ذهبوا إلى مراكز التطوع في مناطق مختلفة من دمشق للوقوف مع صفوف الجيش والأجهزة الأمنية كافة في حربهم ضد الإرهابيين، وقد كانوا جميعاً متحمسين للمشاركة لأنهم كما قال «محسن» ٢٣ عاماً: أنا ألقي اللوم على بعض القادرين، وعلى المقصرين عن التوجه إلى التطوع من أجل أرضنا ووطننا الذي يحتاج لتكاتفنا ومحبتنا لأن الوعي الوطني هو الوعي المطلوب منا كي نصل إلى الأمن والأمان، وهو المطلوب من أجل هذا الوطن الذي قدم لنا الكثير.

أما «منى» ٢١ عاماً فأضافت: عشت في بيت ربانا على حب الوطن، لكني لم أفهم هذا الحب كما ينبغي إلا حين واجهت ذلك، وقد علمني والديّ أن لهذا الوطن حقوقاً يجب عليّ أنا وغيري أن نلتزم بها طالما أننا نعيش على أرضه، ومن أجل هذا أنا مستعدة أن أفديه بروحي الآن وغدا وإلى الأبد.

«فـواز» ٣٢ عاماً طالب ماجستير وباحث في علم النفس، قال: نعم، هناك مجموعة لا تنظر إلى الوضع الحالي على أنه أزمة أصلاً لأن ما يشغلهم لا يتعلق إلا ببحثهم عن ذاتهم للتعويض عن عقدة نقص يعيشونها، وهنـاك أيضـاً مجموعة من الشباب اللامبالين الذين ينظرون إلى الوضع الحالي بحالة من عدم التركيز، أو عدم التكيف لأنهم غير مهيئين لما يحدث وخاصة أنهم لم يعاصروا أزمات مشابهة سابقة، لكن ذلك لا ينفي وجود عدد مهم يلجأ للتطوع دفاعا عن الوطن، وبعضهم يلجأ للتطوع لتقديم المساعدة لأهله وعائلته التي فقدت بيتها وممتلكاتها، وحسب العديد من الشبان الواعين والمثقفين الذين ألتقيهم أسمعهم يتساءلون عن الذي يحدث باهتمام شديد، بل يبحثون عن طرق الإرشـاد والمساعدة ليكونوا فعالين من أجل تقديم أي مساعدة ممكنة في ظل الظرف الحالي.

الأخصائية الاجتماعية السيدة «زهـراء» أنهت حديثها بالقول: هناك فجوة في مفهوم الانتماء الوطني عند الشباب المعاصر، والسبب هو سفر البعض ولجوءهم إلى مدن متفرقة في العـالم، ما يعني أن يعيشوا في بيئة جديدة، وأن يتعلموا في بيئة جديدة، ما يعمّق مفاهيم الانتماء الوطني والحسّي عند الشاب السوري المغترب، لذلك يكون انتماؤه ضعيفا وذا انعكاسات سلبية مقارنة مع ما يعيشه الشباب الذي يعيش الحدث، والذي يختلف كليا في مشاعره الوطنية عن الشباب المغترب.

لاشك بأن ما تعيشه سورية أثر في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية للجيل المعاصر، لذلك فإن تفعيل دور الشباب وبث روح الشعور بالمسؤولية وحب الوطن هي مقدرة، ومسؤولية، وبناء، لأنها جميعاً تعني الانتماء، وتعني «ذاكرة الوطن».

البحث عن الذات وتعويض النقص في العيش وأسبابه

سامحوني الحياة لم تعد تطاق

حققوا ما أرادوا.. وضعوا حداً لحياتهم فهل كانوا سعداء؟!

ديالا غنطوس

عندما يصبح الموت هدفاً وتصبح الحياة عبئاً، ماذا يبقى بعد؟ عندما يتحول شعاع النور إلى غيمة من الألم، وعندما تصبح الموسيقا إرهاقاً للروح، ماذا يبقى بعد؟ دقات الساعة تصبح مطارق تقض مضجع سامعها، وجوه الناس والأحباء تتحول إلى وحوش بشرية، عندما يفقد الإنسان أي لذة ورغبة في الحياة بكل مفاتنها، بكل جمالياتها التي تنادينا للتمتع بها، بكل موسيقاها التي تكتسح العالم طولاً وعرضاً، بكل وجوه البشرية التي تنتظرنا لنلقاها، بكل الحب الهائم في الجنبات، الباحث عن قلب يسكنه ويركن إليه، عندها فقط يقرر الإنسان اعتكاف الحياة والرحيل، رحيل إلى موت يرى فيه حياة أخرى أكثر هدوءاً وسكينة. قد يظن البعض أن أكثر الذين انتحروا حول العالم هم من الفقراء والمفلسين، لكن التاريخ يخبرنا عكس ذلك، إذ إن قائمة المنتحرين من المشاهير تطول وتطول، لتضم بين طياتها أسماءً لأشخاص عاشوا أمجاداً ذهبية يحلم بها الملايين، فما الدافع لانتحارهم إذا؟ هل هو الحب الضائع؟ الأمل... الألم الخفي.. أم إنهم امتلكوا كل شيء باكراً ولم يعد هنالك مما يصبون إليه في هذه الحياة، فقرروا الرحيل إلى عالم آخر يضم أمجاداً جديدة؟ يبقى السؤال معلقاً بين شفاههم الباردة وتبقى ذكراهم خالدة في قلوبنا.

مونرو والانتحار

تطول قائمة المشاهير الذين تغلبت عليهم فكرة إنهاء حياتهم وإيقاف المعاناة، ولعل أشد تلك الحـالات وقعاً على نفوس المعجبين كان خبر انتحار أسطورة السينما مارلين مونرو، بعد أن بلغت من الشهرة مبلغاً جعلها تتربع على عرش السينما العالمية، وباتت رمزاً للإثارة والأنوثة، لكنها على الرغم من المجد الذي نالته لم تكن تنعم بحياة هانئة، بل كانت تعاني من الكآبة والقلق الحاد الذي تحول لاحقاً إلى هستيريا، وفي عـام ١٩٦٠ قبل عامين من وفاتها كتبت مونرو رسالة تظهر من خلالها مقدار التعاسة الذي وصلته، قالت فيها: «لدي إحساس عميق بأنني لست حقيقة تماماً، بل إنني زيفٌ مفتعل ومصنوع بمهارة، وكل إنسان في هـذا العالم يراوده هذا الإحساس بين وقت وآخر، ولكني أعيش هـذا الإحساس طيلة الـوقت، بل أظن أحيانا أنني لست إلا إنتاجاً سينمائياً فنياً أتقنوا صُنعه»، رحلت بعدها مونرو حين كانت تبلغ من العمر ٣٦ عاماً، بعد تناولها كماً كبيراً من الحبوب المنومة.

روبن وليامز

هزم البحر ونفسه

«الحياة صارت كئيبة»، هي بضع كلمات كانت آخر ما تركه لنا الروائي الأميركي العظيم أرنست همنغواي، صاحب رواية «لمن تقرع الأجراس» التي حققت نجاحاً باهراً وتجـاوزت مبيعاتها المليون نسخة في السنة الأولى لنشرها، ورواية «العجوز والبحر» التي حاز من خلالها جائزة نوبل للآداب، كان همنغواي من أعمدة الأدب العالمي واشتهر بكتاباته الروائية والأدبية، لكن دربه أوصله إلى حياة الوحدة في سنواته الأخـيرة التي قضاها في كوبا، وقد عانى من اضطرابات عقلية دفعته إلى اتخاذ قرار الخلاص من الحياة، حيث وجه بندقيته إلى رأسه وضغط على الزناد فسقط صريعاً، منهياً بذلك حياة كانت يصفها بالتعيسة والكئيبة. الأمر ذاته تكرر مع الروائية الإنجليزية فيرجينيا وولف، التي كانت أحد أهم الرموز الأدبية في القرن العشرين، واشتهرت برواياتها التي تخاطب الضمير الإنساني، إلا أن شعبيتها لم تقف في وجه الاكتئاب الذي نال منها، خصوصاً بعد تدمير منزلها في لندن خلال الحـرب العالمية الأولى، إضافة إلى الاستقبال البارد لروايتها الأخيرة، فاعتبرت أنها باتت عاجزة عن الكتابة، ارتدت معطفها الذي ملأته بالحجارة الثقيلة، وأخذتها خطواتها إلى نهر قريب من منزلها وأغرقت نفسها فيه، بعد أن تركت رسالة لزوجها تخبره فيها «سأفعل ما أراه أفضل».

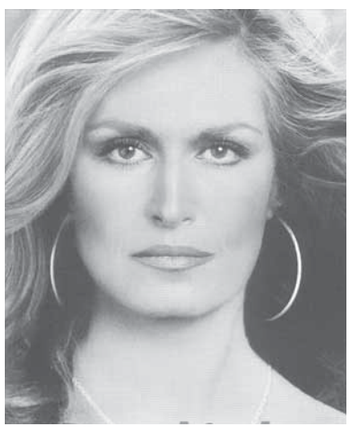

داليدا

حدُّ الشقاء الموت

تتشابه الأسباب والنتيجة واحـدة، حيث لم تشفع شهرة الرسام الهولندي فان غوخ له عندما تيقن من ضرورة وضع حد للشقاء النفسي الذي كابده، صاحب أغلى اللوحات ثمناً في العالم لم يجد في مشوار حياته أي قدرٍ من السعادة يرضيه، اجتاز نوبات من المرض العقلي، قطع أثناء أحدها جـزءاً من أذنـه اليمنى، ازدادت تعاسته بمرور الأيام، فآثر الرحيل على البقاء، وأطلق رصاصة من مسدسه استقرت بصدره ليموت بعدها بيومين، بعد أن همس بكلمات في أذن أخيه الأصغر قائلاً «إن الحزن يـدوم إلى الأبـد». الحـزن ذاتـه الـذي أصـاب كريستينا أوناسيس ابنة أحد أكبر أثرياء العالم الملياردير اليوناني أرسطو أوناسيس، والتي قادت بعد وفاته إمبراطوريته التي أسسها، توالت الملمّات على كريستينا بـدءاً من وفـاة أخيها وانتحار والدتها ومن ثم وفاة والدها، والطلاق الذي كان مصير زيجاتها الأربع، أدى كل ذلك إلى اكتئاب حاد لافتقادها الطمأنينة والاستقرار، اللذين لا يعوضهما ثروة ولا مال، فانتحرت في شاليه قرب بيونس أيريس في الأرجنتين عن عمر يناهز ٣٧ عاماً، بعد أن تناولت جرعة زائدة من الحبوب المنومة. القرار نفسه اتخذته المغنية الإيطالية المصرية داليدا، التي اختارت فرنسا وطناً بديلاً استقرت فيه وحققت شهرة وانتشاراً يفوقان الوصف ونالت الكثير من الجوائز العالمية، لكن ذلك لم يكن كافياً لتحقيق السعادة، فاعتزلت عالم النجومية واستسلمت لبؤسها ويأسها، وانتهى بها الحال بأن فارقت الحياة عن عمر ٥٤ عاماً بعد تناولها كمية كبيرة من العقاقير المنومة، ووجـدت بجانبها ورقـة كتبت فيها «الحياة لا تحتمل.. سامحوني».

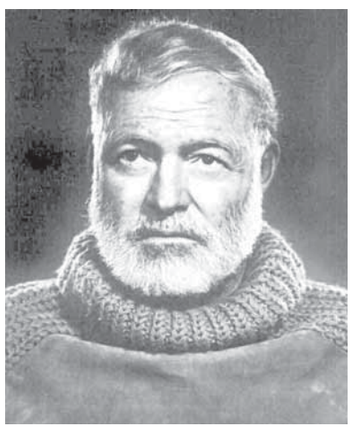

همنغواي

من الابتسام إلى الموت الساخر

ومنذ فترة ليست ببعيدة وقع علينا خبر انتحار روبن وليامز أحد أهم أعلام الكوميديا العالميين، الذي لم يتمكن من رسم البسمة على شفاهه كما رسمها على وجوه الملايين من محبيه، فكان خير مثال على مصطلح «المهرج الحـزين»، وعلى الرغم من نجوميته وشهرته إلا أنه عانى تقلبات حادة في المـزاج سرعان ما تطورت إلى اكتئاب مزمن وقلق مفرط، ما دفعه للوحدة والعزلة والإدمـان على تعاطي الكوكايين والكحوليات، لم يصمد وليامز في وجه رغبته بالرحيل، فحاول الانتحار بدايةً بقطع شريان يده بسكين صغير، إلا أنه لم يفلح فلجأ ومعصمه ملطخ بدمه إلى شنق نفسه بحزام البنطال الذي كان يرتديه، ليفارق الحياة على الفور، وقد قال وليامز يوماً «اعتدت الاعتقاد أن أسوأ ما في الحياة هو أن ينتهي بك المطاف وأنت وحيد، لا ليس كذلك، إن أسوأ ما في الحياة هو أن ينتهي بك الأمر لتكون برفقة أناس يشعرونك بالوحدة».

الطب عجز عنه

كما طالعتنا الأخبار في شهر نيسان من العام الحالي، بنبأ إقدام فردريك براندت على الانتحار، وهو الطبيب اللامع المختص بالأمراض الجلدية وعمليات التجميل، اشتهر فردريك باسم «بارون البوتوكس» في الولايات المتحدة الأميركية، وكان يقصده المشاهير والأثرياء وأغلبهم من النساء من كل أنحاء العالم، وعُرف منهن مادونا وكيلي ريبا وغيرهن، يقال إنه أقدم على الانتحار إثر غضبه من تصويره بشكل ساخر في برنامج تلفزيوني، فضلاً عن معاناته الاكتئاب المزمن والإحباط، وقد وجدته الشرطة مشنوقاً بسلك ومنشفة حول عنقه.

وفي نهاية المطاف، تتكون لدينا قناعة بأنه- في بعض الأحيان- يتطلب قرارنا بالاستمرار في الحياة جرأة تفوق الجرأة اللازمة للإقدام على الانتحار، وإن بدا لنا أن كلا الأمرين أحلاهما مر.